

تفسير البحر المحيط

@ 341 @ قلت : أقام زيد أو عمرو ، فعمره مبتدأ محذوف الخبر لما ذكرنا ، واستفهامهم تضمن إنكاراً واستبعاداً ، فأمر الله نبيه أن يجيبهم بنعم . . .

{ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ } : أي صاغرون ، وهي جملة حالية ، العامل فيها محذوف تقديره نعم تبعثون ، وزادهم في الجواب أن بعثهم وهم ملتبسون بالصغار والذل . وقرأ ابن وثاب : نعم بكسر العين ، وتقدم الخلاف فيها في سورة الأعراف ، وهي كناية عن البعثة ، فإنما بعثتهم { زَجْرَةٌ } : أي صيحة ، وهي النفخة الثانية . لما كانت بعثتهم ناشئة عن الزجرة جعلت إياها مجازاً . وقال الزمخشري : هي مبهمة يوضحها خبرها . انتهى . وكثيراً ما يقول هو وابن مالك أن الضمير يفسره الخبر ، وجعل من ذلك ابن مالك { إِنَّ هِيَ إِلَّا } حَيَاتُهَا الدُّنْيَا ، وتكلمنا معه في ذلك في شرح التسهيل . وقال الزمخشري : فإنما جواب شرط مقدر ، وتقديره : إذا كان ذلك ، فما هي إلا زجرة واحدة . انتهى . وكثيراً ما تضمن جملة الشرط قبل فاء إذا ساغ ، تقديره : ولا ضرورة تدعو إلى ذلك ، ولا يحذف الشرط ويبقى جوابه إلا إذا انجزم الفعل في الذي يطلق عليه أنه جواب الأمر والنهي ، وما ذكر معهما على قول بعضهم ، أما ابتداء فلا يجوز حذفه . . .

و { يُنْظَرُونَ } : من النظر ، أي فإذا هم بصراء ينظرون ، أو من الانتظار ، أي فإذا هم ينتظرون ما يفعل بهم وما يؤمرون به . والظاهر أن قوله : { * يا ويلنا } من كلام بعض الكفار لبعض ، إلى آخر الجملتين ، أقروا بأنه يوم الجزاء ، وأنه يوم الفصل ، وخاطب بعضهم بعضاً . ووقف أبو حاتم على قوله : { * يا ويلنا } ، وجعل { وَقَالُوا } يا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ { إلى آخره من قول الله لهم أو الملائكة . وقيل : { هَذَا يَوْمُ الدِّينِ } من كلام الكفرة ، و { هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ } ليس من كلامهم ، وإنما المعنى يقال لهم هذا يوم الفصل . ويوم الدين : يوم الجزاء والمعاوضة ، ويوم الفصل : يوم الفرق بين فرق الهدى وفرق الضلال . وفي { السَّيِّئِينَ كُنْتُمْ بِهِمْ تَكْذِبُونَ } توبيخ لهم وتقريع . . .

{ أَحْشُرُوكَ السَّيِّئِينَ ظَالِمُونَ وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ * مَالَكُمْ * لَا تَنَاصَرُونَ * بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ * وَأَقْبِلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ * يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ * قَالُوا بَلْ لَكُمْ تَكُونُونَ * مُؤْمِنِينَ * وَمَا

كَانَ لَنَا عَلَیْكُمْ مِّنْ سُلَاطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ فَوَماً طَاغِينَ * فَحَقَّ
 عَلَیْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنْ لَدَا لِقَاؤُنَا * فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنْ لَدَا كُنَّا
 غَاوِينَ * فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ * إِنْ لَدَا كَذَلِكَ
 نَفْعَعُلُ بِالْمُجْرِمِينَ * إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا
 اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَءَنَّا لَذَارٍ كُؤَالِيهِتِنَا لَشَاعِرٍ
 مَّجْنُونٍ * بَلْ جَاء بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ * إِنَّكُمْ لَدَا لِقَاؤِ
 الْعَذَابِ الْآلِيمِ * وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } . .

{ أَحْشُرُوا } : خطاب من الملائكة ، أو خطاب الملائكة بعضهم لبعض ، أي اجمعوا
 الطالبين ونساءهم الكافرات ، قاله ابن عباس ، ورجحه الرماني . وأنواعهم وضرباؤهم ،
 قاله عمرو ابن عباس أيضا ، أو أشباههم من العصاة ، وأهل الزنا مع أهل الزنا ، وأهل
 السرقة ، أو قرناؤهم الشياطين . وقرأ عيسى بن سليمان الحجازي : { وَأَزْوَاجُهُمْ } ،
 مرفوعا عطفاً على ضمير ظلموا ، أي وظلم أزواجهم . { فَاهْدُوهُمْ } : أي عرفوهم
 وقودوهم إلى طريق النار حتى يصلطوها ، والجحيم طبقة من طبقات جهنم . { وَقِفُوهُمْ } ،
 كما قال : { وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقِفُوا عَلَى الذَّارِ } ، وهو توبيخ لهم ،
 أَزْهَمُ } . وقرأ عيسى : أنهم ، بفتح الهمزة . قال عبد الله : يسألون عن شرب الماء
 البارد على طريق الهزء بهم ، وعنه أيضا : يسألون عن لا إله إلا الله . وقال الجمهور : وعن
 أعمالهم ، ويوقفون على قبورها . وفي الحديث : (لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن خمس شابه
 فيما أبلاه ، وعن عمره فيما أفناه ، وعن ماله كيف اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن ما عمل فيما
 علم) . وقال ابن عطية : ويحتمل أن يكون المعنى على نحو ما فسرته بقوله :
 مَسْئُولُونَ مَا لَكُمْ لَاحَظَاصَرُونَ } ، أي إنهم مسئولون عن امتناعهم عن التناصر
 ، وهذا على سبيل التوبيخ في الامتناع . وقال الزمخشري : هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز
 عن التناصر بعدما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين . وقال الثعلبي :
 مَا لَكُمْ لَاحَظَاصَرُونَ } ، جواب أبي جهل حين قال